بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

حول قصة هذه المناظرة التاريخية

كان الدكتور فرج فودة ، واحداً من أقرب المستشارين والمشيرين ـ فى الشأن الإسلامى ـ إلى الرئيس حسنى مبارك . . وكان عداء الرجل لتطبيق الشريعة الإسلامية وللحركات الإسلامية عداء معلنا وصارخاً لم يسبق له مثيل فى استفزازه وشدته وحدته . . حتى أنه كان يتلذذ بالمبالغة فى هذا العداء والاستفزاز ! .

وكانت جماعة الإخوان المسلمين ـ المحجوبة عن الشرعية ـ قد نجحت ـ من خلال حزب العمل ـ فى الدخول إلى مجلس الشعب سنة ١٩٨٧م بأعداد لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الجماعة.. بينما رسب فرج فودة ـ فى ذات الانتخابات ـ رغم ترشيح الكنيسة له فى حى شبرا ـ ذى النسبة الملحوظة من الناخبين الأقباط ـ ورغم الأموال الطائلة التى ساعده بها رجل الأعمال القبطى ـ وثيق الصلة بالمعونات الأمريكية ـ المهندس نجيب ساويرس !

وبعد سقوط فرج فودة فى الانتخابات . . وعندما ذهب الدكتور مصطفى الفقى ـ وكان سكرتيراً لحسنى مبارك ـ إلى الأنبا شنودة

لترشيح الأقباط الذين سيعينون بمجلس الشعب ، كان رأى شنودة : **أن تعيين فرج على فودة أهم للكنيسة من تعيين أى واحد من الأقباط !** .

ولقد ظلت رعاية ساويرس لفرج فودة ولفكره قائمة ومتصاعدة . . فأنشأ له « الجمعية المصرية للتنوير » ، يمارس منها نشر الفكر المعادى للشريعة وللحركات الإسلامية .

ولقد نجح فرج فودة فى إقناع حسنى مبارك بنظرية « **تجفيف منابع التدين** » **لتجفيف منابع الانتماء للحركات الإسلامية المطالبة بتطبيق الشريعة** ، ودعا إلى إنشاء النوادى والمسارح ودور السينما بدلاً من المساجد ـ التى اتهم الحكومة بأنها تزايد من خلالها على الحركات الإسلامية ! . .

ولقد شمل هجومه المستفز الأزهر الشريف وشيخه الجليل الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق ـ فى صحيفة « الأهالى » ، لسان حال حزب التجمع اليسارى ـ . .

وفتحت وسائل الإعلام الحكومية والعلمانية صفحاتها وبرامجها لكتابات وآراء فرج فودة . . وأخذ يعقد الندوات بالجامعات ومؤسسات الثقافة ، حتى غدا أشهر نجوم التهجم على الشريعة الإسلامية ودعاتها أوائل عقد التسعينيات من القرن العشرين .

● وكان الدكتور محمد أحمد خلف الله ، واحداً من غلاة العلمانيين العرب . . كان بعثى الفكر والهوى . . وصديقًا للأستاذ ميشيل عفلق [١٩١٠ - ١٩٨٩م] . . وعلى حين تطور فكر ميشيل عفلق إزاء مكانة الإسلام فى مرجعية النهضة الحضارية للأمة العربية ، حتى قال : « **الإسلام أولاً** » بعد أن كان يقول : « **القومية أولاً** »[١] . . ظل خلف الله ـ الذى أصبح من قيادات حزب التجمع اليسارى ـ يردد مقولات كتاب [الإسلام وأصول الحكم] ـ التى سبق وتراجع عنها الشيخ على عبدالرازق [١٣٠٥ - ١٣٨٦هـ ١٨٨٧ - ١٩٦٦م] - . . ظل خلف الله يردد مقولات علمنة الإسلام ، وينكر بناء الرسول ﷺ أمة ودولة وحكومة . . ويقول : « **لم يكن نبى الإسلام فى أى وقت من الأوقات ملكاً أو رئيس دولة ، وإنما ظل دائماً النبى الرسول** »[٢] .

● ومع سقوط الماركسية ومعسكرها الشيوعى أوائل سنة ١٩٩١م . . وتوحّد قبضة الحضارة الغربية ـ التى اتخذت الإسلام عدوًا أحلته محل العدو الأحمر ـ صعّد العلمانيون المصريون ـ

---

(١) انظر كتابنا [التيار القومى الإسلامى] طبعة دار الشروق . القاهرة سنة ١٩٩٧م .

(٢) دكتور محمد أحمد خلف الله « النص والاجتهاد والحكم فى الإسلام» مجلة العربى ـ الكويت ـ عدد يونيو سنة ١٩٨٤م .

وعلى رأسهم فرج فودة ـ من نبرة العداء **للتوجه الإسلامى** ـ الذى أطلقوا عليه «**الفكر الظلامى**»! ـ . . منتحلين لأنفسهم شعار «**التنوير**» . . فعقدوا ندوات معرض القاهرة الدولى للكتاب سنة ١٩٩٠م تحت شعارك «**مائة عام من التنوير**» . . وتحت ذات الشعار احتفلوا بمئوية مجلة «الهلال» سنة ١٩٩٢م . . **ثم أعادوا إصدار تراث العلمانية والتغريب ـ الذى نشر فى عقود الانبهار بالغرب أوائل القرن العشرين ـ تحت شعار «المواجهة والتنوير» ـ أى مواجهة الفكر الإسلامى ـ الذى سموه الظلامى! ـ بالتنوير العلمانى . . وفى هذه الحملة الفكرية ـ التى وصفت «بالحرب»[1]! ـ كانوا يصدرون فى كل يوم كتاباً يبيعونه بأقل من تكلفة الغلاف! . . بل لقد كانوا يوزعون هذه الكتب ـ التى تصدر يومياً ـ هدايا مجانية على المدارس والجامعات والأندية والمؤسسات والأفراد! . . كما نظموا المهرجانات الثقافية فى محافظات مصر ومدنها لتقديم هذا «التنوير العلمانى» الذى أرادوا به مواجهة ما سموه «ظلامية الإسلام»! . .**

● فى هذا المناخ الفكرى ـ بل الحرب الفكرية غير المسبوقة ـ خطط التيار العلمانى ـ بقيادة فرج فودة وخلف الله ـ مع الدكتور

---

(١) صحيفة «الحياة» ـ لندن ـ فى ١٠/٥/١٩٩٣م .

سمير سرحان ـ رئيس الهيئة العامة للكتاب ـ وصاحب الخلفية الفكرية الماركسية ، والانتماء الشيوعى السابق ـ . . خططوا لمناظرة أرادوها « مناظرة العصر » انتصاراً للعلمانية على الإسلامية ، واختاروا لها عنواناً ملتبساً ، هو : « **مصر بين الدولة المدنية والدينية** » .

وقرروا أن تكون هذه المناظرة هى فاتحة النشاط الثقافى لمعرض القاهرة الدولى للكتاب ـ يناير سنة ١٩٩٢م ـ . .

وكما اختاروا ـ هم وحدهم ـ عنوان المناظرة . . اختاروا ـ هم وحدهم أيضاً ـ أسماء المتحاورين والمتناظرين . . اختاروا ـ من الجانب العلمانى :

- الدكتور فرج فودة . . والدكتور محمد أحمد خلف الله . . والأستاذ حسين أحمد أمين ـ الذى اعتذر فى اللحظات الأخيرة ـ . .

ومن الجانب الإسلامى اختاروا :

- الشيخ محمد الغزالى . . والمستشار محمد المأمون الهضيبى . .

هذا عن المناخ الذى عُقدت فيه هذه المناظرة . . وعن التخطيط والتدبير الذى هيأ لها . .

* * *

أما علاقتى بهذه المناظرة ـ التى غدت أشهر مناظرات القرن العشرين على الإطلاق ـ فإن لها قصة لم تُكتب قبل الآن . .

● لقد بحثوا عن مدير لجلسات المناظرة ، ينظم الحوار ويوزع الوقت بين المتحاورين . . واستشار الدكتور سمير سرحان وزير الثقافة فى ذلك الوقت الأستاذ الدكتور أحمد هيكل . . فأشار عليه بأن يعهد إلىَّ بإدارة الحوار ، مزكيا حيادى وموضوعيتى ، ولما لى من كتابات فى الموضوع الذى سيدور حوله الحوار . . ولقد أخذ الدكتور سمير مسرحان بمشورة الدكتور أحمد هيكل . . وتم الاتفاق معى على أن أقوم بإدارة المناظرة والحوار . . وطبعت الهيئة العامة للكتاب البرنامج ونشرته فى الصحف ـ على هذا الأساس ـ . . .

● وصبيحة يوم المناظرة ـ ٨ يناير سنة ١٩٩٢م ـ . . . وقبل مغادرتى المنزل إلى حيث معرض القاهرة الدولى للكتاب ، لإدارة الحوار بين المتناظرين ، ألقيت نظرة على صحيفة « الأهرام » حيث الإعلان عن النشاط اليومى للبرنامج الثقافى للمعرض . . **ففوجئت بأن اسمى قد نُقل من إدارة المناظرة ، إلى حيث وُضعتُ ضمن الفريق الإسلامى ـ مع الشيخ الغزالى والمستشار الهضيبى ـ . . . بينما وُضع الدكتور سمير سرحان مديراً للمناظرة !! . .**

ولقد علمت ـ فيما بعد ـ أن الدكتور فرج فودة شكك فى حيادى كمدير للمناظرة وتخوف من محاباتى للفريق

الإسلامى . . فتم نقلى ـ دون علم ولا اتفاق! ـ إلى موقع المناظر والمحاور . . بدلاً من مدير الحوار ! . .

وهكذا غادرت المنزل إلى حيث المناظرة ، دون أى إعداد ولا استعداد . . اللهم إلا التوكل على الله . . وتلاوة الآيات القرآنية التى اعتدت تلاوتها فى مثل هذه المناسبات : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الأعلى:٦،٧) .

* * *

وإلى أرض المعارض ـ بمدينة نصر ـ زحفت حشود لم يسبق لها مثيل فى تاريخ المناظرات والمحاضرات . . حشود جاءت من مختلف محافظات مصر ـ فضلاً عن القاهرة ـ زاد عددها على الثلاثين ألفاً . . ولأن القاعة لم تسع إلا جزءاً محدوداً من هذه الحشود ، فلقد افترشوا حدائق المعرض وطرقاته . . بل وأسطح السيارات! . . حتى اضطرت إدارة المعرض إلى غلق أبوابه حتى لا تتزايد أعداد هذه الحشود ! . .

● وكان التدبير العلمانى للمناظرة ـ بعد تحديد الموضوع . . واختيار العنوان . . وأسماء المتحاورين ـ قد بيت لاحتكار تسجيل المناظرة للتحكم فى إذاعتها ـ غير أن الله قد يسر إفلات إحدى « الكاميرات » ـ التى حملها الإعلامى الأستاذ محسن راضى ـ فدخل بها خلسة إلى قاعة المناظرات . . فتم التسجيل لوقائع هذه

المناظرة التاريخية ـ التى يجد القارئ نصها كاملاً فى صفحات هذا الكتاب ـ .

● وبعد الفراغ من المناظرة . . واصل التدبير العلمانى سعيه ليذيع ما يريد إذاعته وليحذف ما يريد حذفه من وقائع المناظرة! ـ المسجلة على شريط « فيديو » ـ . . فذهبوا إلى التليفزيون المصرى لعمل « المونتاج » الذى يحقق لهم ما يريدون . . وليتم هذا « المونتاج » تحت إشراف الدكتور فرج فودة . . وهناك كانت المفاجأة التى تنتظر هذا التدبير العلمانى . . ذلك أن السيدة المسئولة عن عمل « المونتاج » قد طلبت منهم ـ بوازع من ضميرها ـ أن يحضر الدكتور محمد عمارة مع الدكتور فرج فودة عملية « المونتاج » . . وهددتهم بإفساد الشريط إذا هم أصروا على انفراد فرج فودة بالقيام على عمل « المونتاج »! . .

ولقد بحثت هذه السيدة الفاضلة ـ واسمها « لميس بدران » ـ عن رقم هاتفى ، وأخبرتنى بهذا التدبير العلمانى . . وبالموقف الذى اتخذته حياله .

وأمام هذا المأزق ، عدل العلمانيون عن إذاعة وقائع المناظرة .. ووضعوا « شريط الفيديو » فى « الدرج »! . . وهنا كان دور الشريط الذى سجله الإعلامى الأستاذ محسن راضى . . والذى تم نسخه ليصل إلى مختلف أنحاء المعمورة . . وليطبع ـ فى صورة

كتاب ـ عدة طبعات . . حتى لقد ذهبت لأداء فريضة الحج فى ذات العام . . وبعد أشهر من حدوث هذه المناظرة التاريخية . . فوجدت الكثيرين قد جاءوا من مختلف بلاد العالم الإسلامى ـ والجاليات المسلمة خارج عالم الإسلام ـ وقد شاهدوا وقائع هذه المناظرة ـ على شريط « الفيديو » . . بل وهم يحفظون ويرددون بعض العبارات المثيرة التى وردت فى المناظرة والحوار! . .

* * *

تلك سطور رأيتها ضرورية ، لبيان المناخ الفكرى الذى وقعت فيه هذه المناظرة . . والتدبير العلمانى الذى خطط لها . . ولبيان علاقتى بهذه المناظرة التاريخية ـ التى غدت أشهر مناظرات القرن العشرين ـ . . والتى زاد من أهميتها وخطرها : الموضوع الذى دارت حوله :

- الدولة المدنية ذات المرجعية الإسلامية ؟

- أم الدولة العلمانية ؟ .

وهو الموضوع الذى يحتدم حوله الجدل الشديد هذه الأيام . . الأمر الذى استدعى تقديم هذه المناظرة التاريخية ـ كاملة ـ إلى الباحثين والقراء من جديد . .

إنها صفحة من تاريخ الصراع الفكرى بين العلمانية والإسلام .. نقدمها إلى القراء ـ بعد عشرين عاماً من حدوثها . .

سائلين الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينفع بها . . إنه خير مسئول وأكرم مجيب ؟

أول مايو سنة ٢٠١١م
٢٨ جمادى الأولى سنة ١٤٣٢هـ

دكتور
محمد عمارة

obeikandl.com